

طرائق تقديم الشخصية النسوية في رواية أسد البصرة لضياء جبيلي

الاستاذ المساعد الدكتور

اشراق سامي عبد النبي

جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي

المخلص:-

اختارت رواية اسد البصرة للقصص والروائي العراقي ضياء الجبيلي ثيمة التنوع الهويي القائم على التعدد الديني في هذه المدينة الساحلية (البصرة) التي يشهد نسيجها الاجتماعي ثراءً يقوم على التعايش بين اديان ومذاهب وأعراق مختلفة، ركزت هذه الرواية على الأديان الثلاثة (الإسلام ، والمسيحية (الأرمنية) واليهودية) والشخصية الرئيسية في الرواية هو نتاج زواج امه الارمنية وابيه اليهودي فيما تبنته عائلة مسلمة وقامت بتربيته.

اعتمدت هذه الرواية بطريقة واضحة على ثلاث نساء هن العممة اليهودية والخالة الأرمنية والأم بالتبني المسلمة، تحدث الكاتب عبر مجموعة تقنيات عن تاريخ التنوع الهويي في البصرة عبر تشكل النسوة داخل النص الروائي وطريقة تصويره بالنسبة للأشخاص داخل كل انتماء ديني وثقافي.

*Modalities for presenting the feminist character in the novel,
“Asad Al-Basrah”, by Dhiaa Jubeily*

*Assist. Prof. Dr. Ishraq Sami Abdul Nabi
University of Basrah / Centre of Basrah&Arab Gulf Studies*

Abstract:

The novel “Asad Al-Basrah”, by Diaan Al-Jubaili, the Iraqi novelist. The novelist chose the theme of the diversity of the identity based on religious pluralism in this coastal city (Basrah), the social fabric of which reflects richness based on the coexistence of different religions sects and races. The novel focuses on three religions: Islam, Christianity (Armenian), and Judaism. The main character in the novel is the product of the marriage of his Armenian mother and his Jewish father, while a Muslim family adopted and the son. This narration overtly relies on three women who are the Jewish aunt, the Armenian aunt, and the adopting Muslim mother. The author clarified, through a group of techniques, the history of the diversity in Basrah through the formation of women within the narrative text and the way she has been portrayed for people within each religious and cultural affiliation.

المقدمة:-

اخترت رواية اسد البصرة للقصص والروائي العراقي ضياء الجبيلي قيمة التنوع الهوي القائم على التعدد الديني في هذه المدينة الساحلية (البصرة) التي يشهد نسيجها الاجتماعي ثراءً يقوم على التعايش بين أديان ومذاهب وأعراق مختلفة، ركزت هذه الرواية على الأديان الثلاثة (الإسلام ، والمسيحية (الأرمنية) واليهودية) والشخصية الرئيسية في الرواية هو نتاج زواج امه الارمنية وابيه اليهودي فيما تبنته عائلة مسلمة وقامت بتربيته .

اعتمدت هذه الرواية بطريقة واضحة على ثلاث نساء هن العممة اليهودية والخالة الأرمنية والأم بالتبني المسلمة، تحدث الكاتبة عبر مجموعة تقنيات عن تاريخ التنوع الهوي في البصرة عبر تشكل النسوة داخل النص الروائي وطريقة تصويره بالنسبة للأشخاص داخل كل انتماء ديني وثقافي، إذن كانت المهمة مزدوجة فعبر الشخصيات كان لا بد من طرح معالم التشابه والاختلاف بين كل هوية من الهويات الثلاث ، ادخل هذا الموضوع النص في فخ التنميط أو استعمال (الشخصية الجاهزة) عبر مجموعة من الافكار الجمعية عن صفات كل مذهب واستثمارها في بناء تصور عن طرائق العيش والتعايش في البصرة، وقد يقود ذلك إلى مسالة التعامل مع الشخصية بوصفها علامة خالية من الدلالة والملاحم التي من المفترض أن تقترحها الرواية عبر تجربتها الخاصة بناء على الاحداث والعلاقات داخلها مع الاعتماد والتناص مع الواقع، وإنما استعمال أنماط جاهزة عبر توصيفات ثابتة ومتكررة لا تصنعها الرواية ولا تميزها عبر فرادة سردها وانما تنسجم بطريقة او بأخرى مع عقل جمعي يمتلك تراثا خاصا في تصنيف وتشكيل الشخصيات الانسانية عبر انتماءاتهم الدينية وبوجه اخر الثقافية.

وصف الرواية

تبدأ الرواية بحوار الشخصية الرئيسية مع كاتب عالمي شهير (ماريو فارغاس يوسا) يطلب منه ان يكتب قصته التي تشكل لقاء لهويات مختلفة في البصرة عبر زواج ابيه اليهودي الذي كان يعمل مترجما بالقنصلية البريطانية في البصرة من امه المسيحية الارمنية التي كانت تعمل طباحة وقد تم الزواج في الخمسينيات التي شهدت فيما بعد حقبة سياسية قاسية سجن خلالها الاب الذي اتهم بانه شيوعي فيما توفيت الام وهي تلده في المعتقل ، عائلة حنان المسلمة التي تبنت الطفل واطلقت عليه اسم امل ، وقد تبنته لانها لم ترزق بالأطفال الا ان القدر يشاء ان ترزق هذه العائلة بمولودة (فتاة) بعد سنوات خمس من التبني، تمر حياة أمل بتعقيدات عامة اثناء الحكم البعثي الصارم للعراق تعرض خلالها الرواية معاناة المرأة من خلال مجموعة من النسوة ..بعد التغيير تطرح فكرة عودة امل الى اصوله فتوحي له الخالة بإمكانية سفره عبر الكنيسة الارمنية فيما تصر العممة اليهودية على ضرورة سفره اعتمادا على منظمات يهودية خاصة عادت الى العراق للبحث عن اليهود الباقين في العراق خلال تلك الفترة...وفي النهاية يقرر امل البقاء في العراق .

تقوم الاعمال السردية في العادة على عناصر اساسية ربما تتفاوت اهميتها ومقدارها من عمل سردي لآخر، وهي المكان والزمان والشخصية التي تستند الى تقنيات في السرد كأن

يكون سردا ذاتيا لراوٍ حاضر او سردا موضوعيا لراوٍ عليم أو سردا متعدد الاصوات ينتقل بسلاسة مقنعة من ضمير سردي الى اخر، لكن الجامع المشترك في هذا كله هو وجود الشخصية بوصفها احدي المرتكزات الاساسية لأي نص سردي " فالشخصية كائن حركي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكون الشخص نفسه . حينئذ تجمع الشخصية جمعا قياسييا على شخصيات ، لا على شخوص الذي هو جمع شخص. ويختلف الشخص عن الشخصية في كون الأول الإنسان في الواقع أو التاريخ ، خلافا للصورة التي تمثلها الشخصية في الأعمال السردية"^١

قد لا تكون بالضرورة شخصا من الممكن ان تكون ممثلا او فواعل كما في بعض الاعمال التي لا تدخل في التفاصيل الشكلية وانما تركز على الوظيفة التي تؤديها الشخصية . كل ذلك يحتاج الى وسيلة تقنية تقدم للقارئ ما يخطط النص السردي لإيصاله وتمريضه الى المتلقي، ولذا يختلف الكتاب في تلك الوسائل كما تختلف قدرتهم على تطويع اللغة او رسم الخطاطة المقنعة لحركة الشخصية داخل النص . ولان الروايات التقليدية كانت تعتنى (بالبطل) في الرواية عناية كبرى تتمثل في تخصيص مساحة كافية من النص لوصف ملامحها وساحتها وقامتها وصورتها وملابسها وسننها واهوائها وهواجسها وامالها والامها وسعادتها وشقائها"^٢

يتم عرض الشخصية الروائية في الرواية اعتمادا على طريقتين الاولى هو المباشر الذي يتمثل بالسرد الذي يقوم به السارد واصفا الشخصية من الخارج والداخل ومتحدثا عنها بالنيابة اما الثاني فهو الطريق غير المباشر الذي يظهر عبر الحوار والسلوك

وهناك عدم اتفاق بين الكتاب على تحديد واضح لطرائق تقديم الشخصية ، وتنوع يرتبط باساليب الكتابة الروائية " لانها تخضع لمنطق التحول الابداعي من فترة اخرى وترتبط باختيارات الكتاب الفنية الجمالية"^٣ لكن بشكل عام هناك نوعان من العرض وهما كما اشيرنا اعلاه ، طريقة العرض التي تعتمد على الوصف الخارجي ويمكن ان تقسم على :

الوصف

السرد

الطريقة الثانية هي التي تعتمد على كلام وسلوك الشخصية ويمن ان يقسم الى

١. كلام الشخصية عن نفسها

الحوار

المنلوج الداخلي

٢. كلام الشخصية عن سواها

٣. السلوك

منهج البحث

يعتد هذا البحث على نوعين من المناهج البحثية الاولى هو المنهج البنيوي عبر مقارنة الشخصيات ومقاربة طريقة حضورها في النص بين الوصف والحوار ، والمنهج الثاني الثقافي الذي يربط بين تلك الاليات السردية داخل العمل الروائي مع السياق العام التاريخي والفكري وفهم منطق الرواية عبر المشتركات الفكرية التي تناقشها او توظفها .

المبحث الاول

شخصيات نسوية حاضرة الصوت ومقيدة الفعل

المبحث الاول .. العمة اليهودية : تفتح الرواية بمشهد يقوم على حوار صادم .. الصدمة فيه قائمة على اختيار لهجة غريبة بعض الشيء يظنها القارئ لأول وهلة لهجة تشير الى الموصل (اعني القارئ العراقي على وجه التحديد) ثم مايلبث النص يكشف عن هوية المتكلمة اليهودية ، " لايمكن لنا تقمص شخصية من الماضي (سواء أكاتبا كانت ام شخصية ادبية) من دون ان تتخلل هذا التقمص رواسب من وجودنا المتعين المتحيز داخل تقليد بعينه. وهذا امر محتوم وايجابي بحسب غادمير " ٣ هنا يكمن مأزق الرواية في الكتابة عن شخصيات تمثل شريحة معينة (اجتماعية) مثل اصحاب المهن (هوية) ديانات اخرى تصورات عن الاخر (الاجنبي او من بلد اخر) فقد يتبنى الخطاب السردي ماهو شائع ومعرف ويعتمد على في تأسيس شخصية روائية كان الاجدى لو انها حملت ميزات الخاصة من داخل سياق النص الروائي وليس من العقل الجمعي ، ولما كانت " طرائق تقديم الشخصية قد ظهرت الى الوجود عن طريق العناية النقدية بوجهة النظر التي هي دراسة مصدر السرد ، سواء اكان الراوي ام الشخصية ام غيرهما ، وعندما حُددت هذه العناية بالشخصية دون سواها ، ظهر تقديم الشخصية مرتكزا على مصدره " ٤ فان حضور الشخصيات النسوية بقوة الصوت وانكسار وضعف الفعل يمكن ان يتابع من خلال الاتي ١ : " اصطدمت نظرتة الحانقة بعيني المرأة العجوز

ديجون لكن سالها وكأنه يسخر

اي ماعندي شك اجابت هिला

ميخالف قال موشي انتظريهم

وانت دتسافر معاي صاحت به هिला غاح تمشي اموراتنا وكل شي يقعد بمكانو ما اغوح على اي مكان صاح هو ايضا بصوت حاول الايعلو حتى لايببدو كانه ينهرها : غوحيانت انا اغوح على ماريو انا اش اغوح اسوي هونيك عاد موشي الى غرفته واغلق الباب بعنف ، ثم اتكا عليه صاما اذنيه بيديه كي لايسمع عمته وهي تولول بغضب

وي غمادا مندال ماتبقا هوني تال ويبي قتعيد تقعد هوني يذحوك " ٥

كما يتضح من الاقتباس اعلاه فان الشخصية هنا تُقدم بطريقة غير مباشرة عبر الحوار، وعلى الرغم من غرابة اللهجة وربما تكون غير واضحة او مفهومة الا أنها مثلت الوسيلة التي لجا لها الرواي لشرح بعض صفات الشخصية " وذلك بأن يجعل لها ماضياً وحاضراً وعادات وتقاليد وعائلة، إضافة الى الصفات الجسمية والمعنوية التي تسمح للقارئ ان يكون فكرة اولية حولها كأن تكون ذات جمال او خجل او شجاعة او فقر " ٦ .

يشير الحوار الذي نقله الرواي باللهجة اليهودية التي تقترب كثيرا من لهجة اهل الموصل الى ان العمة تطالب الشخصية الرئيسية في الرواية بالرحيل لانه ان بقي هنا سوف يذبح ، اي ان الاقلية المختلفة هنا في العراق لم تعد تشعر بالأمان خاصة بعد ٢٠٠٣ حيث الفوضى وانشار السلاح وظهور التطرف الديني والطائفي . تدور المحادثات بين العمة اليهودية وابن اخيها الذي اختلطت فيه كل الاديان على الهجرة الى اسرائيل بوصفه ابن يهودي عراقي فتقول:

"انت مخبل ابن اخوي سمعتوك البارحة وانت تحكي مع نفسك وتقول اشياء تافهة

ما كنت احكي نفسي ،كنت احكي مع ماريو

"آه ماريو ...ضربت العجوز بيدها على الطاولة التي ارتجت ،فكاد قدح الشاي ان ينكفيء

امامها؟؟ ماريو .. ماريو .. ماريو انت متهلوس عزيزي وماريو هذا ويحد من اعراض خبالك

عزيزي ، عتفهمني عزيزي؟"

بين السرد والحوار تشكل هذا المشهد ليعرض العلاقة الحادة بين العمة الواقعية وابن الاخ الذي يحاور في خياله كاتباً معروفاً زار العراق ليطلب منه كتابة قصته ..وتستمر مثل هذه المشاهد في بداية الرواية لتحدد افق شخصية العمة واطار العلاقة بينها وبين الشخصية الرئيسية ، بمعنى ان الرواي لم يهتم كثيراً بالحديث عن الصفات الخارجية لشخصياته بل ركز على الدواخل النفسية والميزات الشخصية الخاصة .

تحضر العمة بصوت واضح في التعبير عن نفسها وعن شخصيتها لاسيما بالاعتماد على الحوار ، لكنها تظل حبيسة هذا الصوت الذي عبرت فيه عما تريد وما ترغب فليس من فعل يتناسب ووضوح الصوت داخل الرواية ، لم تفتح حدثاً ولم تنتهه لم تغير مجرى السرد بآية طريقة لكنها وكما سنرى ظلت وفيه لصورتها الاولى في الرواية وهي صورة جامدة تعتمد على حد بعيد على تصورات جمعية ويمكن تشبيه دورها داخل الرواية بايقونة وضعت لمنح دلالات محددة سلفاً وهذا الامر قد ينقص من فنية الكتابة الروائية التي يفترض فيها خلق شخصيات حقيقية ومنحهم القدرة على التطور داخل النص وليس باستعارة تصورات كاملة نمطية ووضعها داخل الاحداث،" ان دور الروائي مرهون بشروط محددة لايجوز له تجاوزها فدوره في عرض شخصياته هو المراقبة والتحكم بها عن بعد دون التدخل المباشر في سيرها فهو يترك لها حرية الخيار بما يلتصق بها من صفة انسانية للقارئ " ٧

ويسير الرواي في الطريق ذاته عندما يريد رسم شخصية خالته الارمنية ميساك عبر اعتماده لتقنية التقديم غير المباشر من خلال الحوار الذي يكون بين الشخصية الرئيسية والخاله وكما بدا مقطع الحوار بينه وبين عمته اليهودية باللهجة الخاصة لليهود ،فانه يستعمل في البداية كلمات ارمنية فيقول مثلاً " فتفتح له الباب نيرغوتيون يسم خانتشغ أنتي (هذا انا خاجيك ياخالتي) تو فسداء ايس تو خانتشغ ايس ؟ (انت متأكد انك خاجيك ياخالتي)؟" ٨

وبعد حوار بهذه اللغة يشرح الرواي ان الشخصية الرئيسية لم يتقن اللغة الارمنية ونادراً مايتحدث بها مع خالته .ليكمل الحوار بينهما باللغة العربية " انت متأكد محد تبعك نعم وشلوننا عمك الحيزبون ،بعدها تمص دم البني ادمين؟

لا تقاعدت من زمان

لم يتكلم خاجيك فكر برهة بالكلمات الاكثر تأثيراً ليقولها عله يحوز في النهاية الحاجة التي جاء من اجلها فراح يتمم مع نفسه حينئذ سألته ميساك :

تشكي من شي عزيزي

ابدا انتبه خاجيك والتفت الى خالته

زين خلي احضرك شي تشربه " ٩

تعطي هذه المحاور انطباعاً عاماً عن شخصية الخالته مثلاً انها مرتابة قليلاً وتبدو موسوسة بهذا الاتجاه لكنها عطوفة اكثر من العمة خاصة وانه توجه لها بطلب معين ، بقي ان نشير الى ان صوت كل من الخالته والعمة كان داعماً للفكرة لكنه غير محرك او مؤثر في عموم السرد والاحداث "الشخصية الروائية بوجه عام ذات طابع وظيفي وتخضع لاعتبارات مفهومية حتى تكتسب هذه السمة، فهي في المقام الأول دور، والأدوار بطبيعتها متنوعة ومتعددة، وتشمل كل مشارك في العمل الروائي، سواء اضطلع بدور سلبي أو إيجابي، بشرط أن يشارك في الحدث، ومن لا دور له، ولم يشارك في الحدث فيمكن اعتباره جزءاً من الوصف، فهي على درجة من الارتباط حد الالتصاق بالحدث" ١٠

وضوح الصوت السردي الذي كان عبر استخدام الحوار بوصفه وسيلة تقديم غير مباشرة للشخصية ارتبطت الى حد معين بكون هذه الشخصيات شخصيات نسائية (العمة والخالة) وهي بطريقة ما تفتقر الى وجود حقيقي وفاعل في مجتمع يحاصر المرأة لاسيما اذا كانت تنتمي الى اقلية مثل تلك التي نتحدث عنها رواية اسد البصرة (الارمن/اليهود) ومن ثم فقد حاول الخطاب في الرواية منحها توازنا ما عبر كونها شخصيات متحدثة " إن حيازة المرأة لهذا الصوت السردي على مستوى الخطاب التخيلي يعوضها عن الموقع الاجتماعي الهامشي الذي يحكم عليها بالصمت، بل إن الامر التكتيكي الأخطر من ذلك والأكثر أهمية أنها تعود من خلال هذا الموقع السردي لتستنطق الثقافة الأبوية وتعري تحيزاتها الأيديولوجية. لذلك، حين تحكي المرأة فهي تحكي من موقع مضاعف، يمتزج فيه التخيلي بالاجتماعي، والذاتي بالعام، والشخصي بالسياسي " ١١

اختارت الرواية شخصيتين نسائيتين للحديث عن دينين مختلفين ، لم يكن طرح الحوار بين هاتين السيدتين بهذه الصيغة الا بوصفه تعبيراً عن عالمين مختلفين تعرضاً للاضطهاد ومورست عليهما عمليات عنيفة من النازيين او العثمانيين ، اي تحولت كل من العمة اليهودية والخالة الارمنية الى ايقونتين تعبران عن مأس تاريخية ، ارتباط هاتين السيدتين بقضاياهن كان ارتباطاً باهتا هرما قاصر الحضور تماماً مثل قصور وضع الانثى في هذا المجتمع ! ولم يتوقف تقديم كل من شخصية العمة والخالة على الطريقة غير المباشرة فقد خصصت الرواية السرد في بدايتها لبيان صفات الخالة والعمة بطريقة الراوي العليم الذي لا تفلت منه شاردة ولا واردة الا وعرف خفاياها ، فيقول مثلاً " لم تكن هيلاً تملك سوى امنية واحدة هي ان يكون لها فسحة في هذه الارض بحجم قبر تدفن فيه الى جوار خطيبها في مقبرة اليهود في السعودية. خطيبها الذي اثرت البقاء لاجله بعد هجرة عائلتها باستثناء شقيقها نائير لكنها وفي نهاية تشرين الاول ١٩٥٦ فوجئت بخبر مقتله ، وبفقدان خطيبها عاشت هيلاً اسوء ايام حياتها " ١٢

ويستمر الراوي بالطريقة ذاتها في وصف شخصية الخالة ميساك مستعملاً السرد المباشر فيقول " اما ميساك فقد كانت ميساك امرأة عصابية نوعاً ما او هكذا اصبحت منذ ان بلغت الخامسة والاربعين ولم تتزوج كانت تؤمن على نحو لا يخلو من تطرف كما هو ديدن غالب ارمنيات في الشتات " ١٣

وعلى الرغم ان الراوي استرسل في وصف وتحديد ملامح كل شخصية منها فان ذلك لم يمنح كليهما الروح اللازمة لإضفاء الحيوية والاقناع على الشخصية اذ ظلتا تدوران في المحور نفسه محور توظيف النمط الجاهز للشخصية بوصفة فكرة او رمزا يكمل الاجواء الروائية ويحقق الثيمة عبرها مثلما يؤكد الديكو في العرض المسرحي على الكثير من المفاهيم التي تحتاج الفكرة لايضاحها "ان استخدام الشخصية مثل هذا الاستخدام الواقعي يحرمها من التأثير في الأحداث الروائية، ويظهرها جامدة، عديمة الحياة. ويقرب الرواية من التاريخ. ولا يتذكرها القارئ ضمن شخصيات الرواية؛ إذ لم يكن لها دور في العالم المتخيل الذي حشرت فيه حشرًا دون ضرورة." ١٤

الفصل الثاني

شخصيات نسوية صامتا لكنها فاعلة

اولا شخصية حنان

ما لمقصود بالصمت هنا ؟ ما تقصده الدراسة فضلا عن قلة الحوار او انعدامه فهو ايضا في عدم التركيز على الشخصية في السرد وعدم تحديد صفاتها الشكلية والنفسية ، لكنها تتكشف عبر سلوكها الذي يبني الاحداث او يوجهها مثلا تقوم الام بالتبني (حنان) باختيار اسم

(امل) للولد الذي تتبناه بعد ان فقدت ثلاثة مواليد ذكور يوضح الاب الذي سجل الاسم بعد ممانعة موظف التسجيل واعترضه على تسمية المولود الذكر باسم فتاة ، بان امل يتكون من الاحرف الثلاثة الاولى لاسماء المواليد الذين فقدتهم (حنان) وبعد ان تمر سنوات لاتقف الرواية خلالها على شخصية حنان الام بالتبني للشخصية الرئيسية اذ تفتح الاحداث عبر شخصية حنان وهي تحافظ على انعدام الملامح ذاته فينقل السرد مثلا " وبعد معاناة تسعة اشهر ،كادت ان تجهض خلالها الجنين لاكثر من مرة ، واضطرت الى الاستلقاء على ظهرها فترات طويلة ومملة ،انجبت حنان بنتا اسمها والدها نسرين ،في حين دخلت هي في غيبوبة لم تفق منها الا في صباح اليوم التالي ،لتستأنف بعدها حياتها وتبدأ بتربية الطفلين ،من دون ان تشغلها فكرة الانجاب مرة اخرة واصبح امل الاخ الاكبر لنسرين بالرضاعة بعد ان رضعت الاخيرة من اللبن نفسه الذي غذاه منذ ان كان عمره شهرا واحدا " ١٥ . ولعل عناية الرواية بكل من شخصية الخالة وشخصية العمه على حساب الشخصيات النسوية الاخرى مرده الاهتمام بالمختلف او لنطلق عليها اسم الاقلية وجاء منسجما مع تنميتها شعبيا ضمن الوعي الجمعي " ساهمت عوامل تراثية دينية متنوّعة، وأدبية عالمية، قبل العربية، إضافة إلى عوامل سياسية في تنميط صورة الشخصية اليهودية، ورسما بملامح فرضتها سلوكياتهم التي انعكست في مرايا الآخرين " ١٦

على الرغم من هذا الاهتمام فانها بقيت شخصيات تدور في فلك نفسها غير واعدة باحداث كما انها غير قادرة على اعادة توجية السرد من منطقة الى ثانية مثلما فعلت الشخصية النسائية الاخرى (حنان) والتي كانت غير محددة او واضحة بالنسبة للمتلقي وكأنها شخصية كومبارس ثانوي غير مهمة، الا انها في الحقيقية كانت قادرة على تغيير وفتح طرائق السرد في الرواية "مما زاد محاولة فهم الشخصية الروائية صعوبة، فرضت على النقاد والدارسين لها ضرورة الاستعانة بمجموعة من الأحكام المستقاة من مجالات معرفية متباينة، ولعل أهمها علم النفس الذي توغل في فهم الحوافز والمكبوتات الداخلية، قصد إثبات أن "الحمية النفسية التي تتغير مع الزمن تعمل على التماس علاقات السبب بالمسبب (...). لكن الشخصية تستلزم تدخلا لعلم النفس بالضرورة." ١٧ الشر المطلق او الخير المطلق اصبحا تقنيا ينتميان الى الكتابة الكلاسيكية فيما تحاول الرواية الجديدة ان تمنح الشخصية حق عدم اليقين والوضوح ولا تقوم بتقديمها مثل لقمة سائغة للمتلقي ، لكن عليه المشاركة فعليا في انتاجها عبر التعاطف مع انسانيتها وحيرتها ، وتبدو شخصية مثل حنان تملك مثل هذه القدرة في فتح افاق التاويل والدلالة عبر اغفال السرد الروائي في تحديد صارم لها فهي ليست سيئة وليست ملاكا ، هي بشر لها اخطاء الناس ذاتها ومزاياها ايضا . يصورها السرد احيانا وهي امرأة مذعورة من القصف المدفعي على مدينة البصرة في اثناء الحرب مع ايران " حنان على وجه الخصوص التي كانت تقرض اظفارها باسنانها وهي تردد بصوت متهدج (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا " ١٨ .

لايزال السرد مقتضبا وشحيا جدا في اضاءة هذه الشخصية والحديث عنها بما يوازي اهميتها في الرواية حتى يصل الى مشهد غرائبي لكنه يرتبط بالواقع الى حد كبير فيقول " وفي مساء يوم من ايام كانون الاول الباردة ، وبينما كانت تؤدي دورها المعتاد كام للشهيد على مسرح بهو الادارة المحلية في وقت كان هناك المزيد مما لم تقدمه بعد، احست حنان بالاعياء واغمي عليها لدقائق غادرت بعدها الى البيت متعبة ، مرهقة ، لتفاجيء فور وصولها بخبر مقتل (امل) الذي حشر في ذلك الحين ،داخل نعش ولف بالعلم العراقي، وارسل على عنوان

بيتها في محلة البجاري برفقة ماموريين عسكريين " ١٩ تعمل حنان في المسرح وتؤدي ادوارا ثانوية وربما منها دور ام الشهيد الذي تراس في تلك الفترة اهم الادوار التراجيدية التي شاعت في المجتمع يتداخل التمثيل بالواقع في هذا المشهد مثلما تتدخل الكوميديا بالماساة في خلق مشهد غير متوقع من شخصية ليست لها حدود واضحة عبر السرد والحوار لكنها تتناص مع مهنتها داخل الرواية (التمثيل) اذ تؤدي الدور المنوط بها داخل السرد دون تمهيدات نظرية لشخصيتها، التي اعتادت على تمثيل ادوار ثانوية في المسرحيات التي تؤديها، ادوار لا تتحدث عن نفسها كثيرا ولا تجذب اضاء المسرح او انظار الجمهور لكنها تؤدي بحرفية الدور المناط بها .

"أن الشخصية تُعرّف (من قبل الروائي) بتلك الإشارات التي تعطيها بشأن قدرتها الخاصة على التصرف بشكلٍ محدّد، ذلك "الشكل المحدّد" يفي بما تطلبه الحكمة. توجد الشخصية في الرواية لأجل القيام بالفعل الذي تساهم به داخل الحكمة. هذا صحيح، ولكنها توجد أيضاً خارج الفعل الذي تساهم به في الحكمة. من دون وجود الشخصية خارج الفعل (بشكل محدود بالضرورة)، سيكون الفعل بذاته غير صالح." ٢٠ تتسجم هذه الشخصية مع المقولة التي تقول ان الشخصية يمكن ان تخلق فقط من اجل حدث واحد " ٢١ ويتضح هذا الحدث بشكل كبير في مشهد استشهاد امل الوهمي كما جاء في هذا المقطع " عندئذ ، اكملت ما بدأته في ذلك المساء على خشبة المسرح ، ولم يستطع اتمامه بسبب حالة التعب والاعياء الشديدين ، اكملت الدور المناط بها منذ سنوات ، لكن على نحو مختلف هذه المرة على طريقة النساء القرويات ، اللطامات ، النواحات خماسيات الخدود وشقايات الجيوب ، القت بنفسها على النعش احتضنته وشمته " يتداخل الدور الثانوي الذي اعتادت (حنان) لعبه على المسرح منذ انلاع الحرب في الثمانينيات (دور ام الشهيد) مع دورها بوصفها شخصية داخل النص الروائي ، ويصف السرد سلوكها في هذه اللحظة الانسانية البالغة الوجد دون ان يكون لدى المتلقي اي نوع من المقدمات التمهيديّة لهذه الشخصية ويكمل المشاهد وهي تتولى (شخصية حنان) قيادة الحدث والمؤثرات فيه حتى تصل تلك اللحظة الدرامية العالية عندما يعطس (امل) في وسط ضجيج النسوة وعويل امه بالتبني ليفز من غيبوبة بسبب اصابة بليغة في راسه ، في العطسة الثالثة يتوقف قلب حنان وتموت من فرط الانفعال والدهشة :

" كان الامر اشبه بدعابة ، ربما سيكون من الملائم جدا ان تقف حنان عندها ، في تلك الاثناء ، لتصفع الحرب وتقرعها ، تمسكها من اذنها وتلقي بها في الخارج ، قبل ان تشكر المعزيات من نساء الحي وتدعوهن الى الانصراف لكنها ماتت في العطسة الثالثة تلك العطسة القاضية " ٢٢

ثانيا شخصية نسرين

نسرين هي ابنة العائلة المسلمة التي تبنت (امل) او موشي او خاجيك ، بسبب عدم قدرة هذه العائلة على الانجاب او لان المواليد عندهم يموتون في عمر الطفولة الاول ، لكن الاقدار تشاء ان ترزق هذه العائلة ببنت اسموها نسرين بعد خمس سنوات من تبنيهم ل(امل) وهي ايضا تقدم للمتلقي بطريقة غير مباشرة عبر سلوكها و ردود افعالها " التي يفسح فيها الكاتب المجال للشخصية لتعبر عن افكارها وعواطفها وميولها " ٢٣ كما يتضح من خلال الرواية ان نسرين كانت قد اتفقت على الهرب مع احدى شخصيات الرواية وعندما دخلت الى المنزل لحظة استشهاد اخيها بالتبني (امل) يتواجه المتلقي للمرة الاولى مع شخصية غامضة لا يعرف عنها الكثير ، يعبر عن ذلك المشهد التالي : " لقد ارق نسرين انها لم تكن تعرف في ذلك

الحين ، ان كان ما ينتابها ازاء وجود جثة امل في نعش لايبعد عنها سوى امتار قليلة هو شعور بالخوف او بالحزن او الغضب " ٢٤ ليست هناك مقدمات واضحة او مفهومة لهذه الشخصية لنحزر نحن بوصفنا متلقين شكل سلوكها ازاء مثل هذه الحادثة لكن السرد يكمل محددًا ردة فعلها عبر افعالها مثل هربها واكمالها له رغم هذه الحادثة مثلما جاء في المشهد التالي " ما هذا الصراخ ، ادار مفتاح التشغيل فدوى المحرك في حين استمر الصراخ الاتي من داخل البيت يزداد حدة : "هل هناك مشكلة؟"

تحرك صرخت نسرین قائلة : "خذي من هنا فانطلقت السيارة ويمكن ان نرى ان شخصية نسرین تتوافق مع اشارة د.نجم عبد الله في دراسته عن جماليات الشخصية في الرواية العراقية : " تكاد الشخصية تكون، عند مجموعة أخرى من الروائيين، أشبه بالقبلة الموقوتة المرتبطة بمؤقت وتنفجر متى حان وقتها" ٢٥ على العكس تماما من شخصية الخالة الارمنية والعمة اليهودية اذ قامت كل منها بتصدير نفسها والتعبير عن ذاتها دون ان يترتب على ذلك افعال او حبكة حقيقية فيما كان تشبيه القبلة الموقوتة مناسبة مع شخصيات مثل حنان ونسرین " إذ تشبه مثل هذه القبلة المرتبطة بمؤقت، فإنها في حالة تفجر دائم أيضاً. فإذا ننتظر أن تسجل، في لحظة ما أو عبر فعل ما أو نتيجة كلمة قد تنطقها شخصية أخرى، انعطافة في سير الرواية أو تعبيراً عما قد لا نتوقعه، فإنها دائمة التصعيد والإثارة، بحيث نتيجة لها لا تكون الرواية في حالة هدوء أو أفقية أو رضا عن واقعها أبداً. " ٢٦

خاتمة ونتائج

رواية اسد البصرة رواية عن هوية الاقليات الدينية في البصرة عبر حكاية لفتى بصري يحمل الاديان الثلاثة سوية ، وقد تميزت هذه الرواية بيعرض شخصيات نسوية مختلفة بطريفة مميزة حاولت الدراسة هذه تحليل طرائق تقديمها ومعنى ذلك وانعكاسه على النص الروائي وقد تبلورت عدة نتائج من هذه المتابعة الأكاديمية وهي كالتالي :

١ تنوع طرائق تقديم الشخصيات داخل الرواية الواحدة اعتمادا على المساحة التي تمثلها اولا وعلى عمق تأثيرها ثانيا

٢ استخدام طريقة التقديم المباشر عبر الحوار او السرد الواصف للشخصيات المختلفة دينيا (الخالة والعمة) لكن التقديم ظل سطحيا ويميل الى تنميط الشخصيات هذه وفق الفكرة المجتمعية هنا ، كان تتميز العمة اليهودية بما هو شائع عن اليهود كاقليية وكذلك الحال بالنسبة للخالة ، لذا بدأت هذه الشخصيات وكانها ديكور لكنه اساسي في اكمال ونقل الفكرة او الثيمة .

٣ تمكن الروائي من رسم الشخصيات النسوية الاخرى ومنحها القدرة على التحرك والتاثير بحرية داخل النص الروائي ،فهي تحمل ابتكارا ودهشه في الحركة والسلوك وردود الافعال عبر امتلاكها لميزة فتح واغلاق الاحداث او تغيير مجرياتها رغم اقتضاب او قلة تعبيرها عن نفسها او وصف السرد لها وتقديمه لصفاتها .

الهوامش

- ١ نظام الشخصية في روايات الطاهر وطار اطروحة الدكتوراه ، طيبون فريال ، كلية الاداب واللغات والفنون /جبلالي الياس /سيدي بالعباس .
- ٢ في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض ،مجلة عالم المعرفة ، العدد ١٩٩٨، ٢٤٠، ص ٧٦.
- ٣_ أزمة التنوير العراقي ،فلاح رحيم ،سلسلة دراسات فكرية ، جامعة الكوفة ،لبنان ٢٠١٨، ص ١٧٩.
- ٤_ تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية ، اثير عادل شواي ،دار الشؤون الثقافية بغداد، ٢٠٠٩ ، ص: ٣٥.
- ٥_ اسد البصرة /ضياء الجبيلي/ منشورات الجمل / ٢٠١٧: ١٢
- ٦_ الشخصية في القصة/ جميلة فيسون / مجلة العلوم الانسانية /جامعة منتوري الجزائرية /١٣: ١٨٦.
- ٧_ بنية الشخصية في اعمال مؤنس الرزاز الروائية /شرحبيل ابراهيم احمد المحاسنة /رسالة ماجستير /جامعة مؤتة /الاردن/ ٢٠٠٧.
- ٨_ اسد البصرة : ٢١
- ٩_ نفسه : ٢٣
- ١٠_ الشخصية ومحلها في الرواية/محمد العباس/ جريدة القدس /٢٧ ابريل ٢٠١٦.
- ١١_ تمثلات الهوية النسوية في رواية (دنيا) لعلوية صبح /محمد بو عزة/مجلة تبين /العدد ٢٠١٧/٢٠: ٣٠
- ١٢_ اسد البصرة : ٣٦
- ١٣_ نفسه : ٣٧
- ١٤_ الشخصية الحقيقية في الرواية /د. محمد عبدالله القواسمة /الدستور / ٢٤ شباط / فبراير ٢٠١٧ /
- ١٥_ اسد البصرة : ٥٣.
- ١٦_ ملامح ورؤى تحولات الشخصية اليهودية في الرواية العربية /زياد الأحمد /مايو ٢٨، ٢٠١٩ /موقع خطوة الإلكتروني <https://khatwa.org/?p=2372>
- ١٧_ مفاهيم سردية، ترفيطان تودوروف، تر: عبد الرحمان مزيان، ط: ٠١، ٢٠٠٥، منشورات الاختلاف، ص: ٧٣.
- ١٨_ اسد البصرة : ٨٣
- ١٩_ نفسه : ١٣٦
- ٢٠_ الشخصيات لا تخلق بل يعثر عليها /اليزابيث بون/ترجمة بثينة العيسى /منصة تكوين على الموقع الإلكتروني <https://takweenkw.com/blog/1630/single>.
- ٢١_ ينظر المصدر نفسه .
- ٢٢_ اسد البصرة : ١٣٦.
- ٢٣_ سيمولوجيا الشخصيات في رواية تواشح الورد لمنى برشم /خديجة قيطون وعبيدة قوجيل /رسالة ماجستير /جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي / الجزائر / ٢٠١٧.
- ٢٤_ اسد البصرة : ١٤٠
- ٢٥_ جماليات الشخصية في الرواية العراقية / دنجم عبد الله كاظم /دراسة منشورة على موقع الناقد <http://www.iraqiwriters.com/INP/view.asp?ID=265/> العراقي ٢٠١٠
- ٢٦_ المصدر نفسه .

المصادر

أسد البصرة 'ضياء جبيلي' منشورات الجمل /٢٠١٧

أزمة التنوير العراقي ،فلاح رحيم ،سلسلة دراسات فكرية ، جامعة الكوفة ،لبنان ٢٠١٨.

بنية الشخصية في اعمال مؤنس الرزاز الروائية ،شرحبيل ابراهيم احمد المحاسنة /رسالة ماجستير ،

جامعة مؤتة ،الاردن، ٢٠٠٧.

تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية ، اثير عادل شواي ،دار الشؤون الثقافية بغداد، ٢٠٠٩.

تمثلات الهوية النسوية في رواية (دنيا) لعلوية صبح /مجد بو عزة/مجلة تبين /العدد ٢٠١٧/٢٠
 جماليات الشخصية في الرواية العراقية / د.نجم عبد الله كاظم /دراسة منشورة على موقع الناقد العراقي
<http://www.iraqiwriters.com/INP/view.asp?ID=265> ٢٠١٠
 سيمولوجية الشخصية الروائية سيميولوجية الشخصيات في رواية "تواشبح الورد" لمنى بشلم، خديجة
 قيطون وعبيدة قوجيل /رسالة ماجستير /جامعة العربي بن مهدي ام البواقي / الجزائر /٢٠١٧.
 الشخصية في القصة، جميلة قيسون ، مجلة العلوم الانسانية، جامعة منتوري الجزائرية، العدد، ٢٠٠٠.
 الشخصيات لاتخلق بل يعثر عليها /اليزابيث بون/ترجمة بثينة العيسى /منصة تكوين على الموقع
 الالكتروني <https://takweenkw.com/blog/1630/single>
 الشخصية ومحلها في الرواية/محمد العباس/ جريدة القدس /٢٧ابريل ٢٠١٦.
 في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض ،مجلة عالم المعرفة ، العدد ١٩٩٨، ٢٤٠،
 مفاهيم سردية، تزفيتان تودوروف، تر: عبد الرحمان مزيان، ط: ٠١، ٢٠٠٥، منشورات الاختلاف.
 ملامح ورؤى تحولات الشخصية اليهودية في الرواية العربية /زياد الأحمد /مايو ٢٨، ٢٠١٩ / موقع
 خطوة الالكتروني <https://khatwa.org/?p=2372>

Sources

- Lion of Basra, "Dia Jubili," Camel Publications / 2017
 The Iraqi Enlightenment Crisis, Falah Rahim, Series of Intellectual
 Studies, University of Kufa, Lebanon 2018.
 Character structure in the works of Mones Al-Razzaz, novelist,
 Sharhabeel Ibrahim Ahmed Al-Mahasneh / Master Thesis
 Mutah University, Jordan, 2007.
 Personal Presentation Techniques in the Iraqi Novel, Adel Shuaiyi, Atelier
 of Cultural Affairs, Baghdad, 2009.
 Feminist Identity Representations in (Dunia) Novel by Alwiya Sobh /
 Mohamed Bou Azza / Journal showing / Issue 20/2017
 العراقية / د.نجم عبد الله كاظم /دراسة منشورة على موقع الناقد العراقي
<http://www.iraqiwriters.com/INP/view.asp?ID=265/>
 Simology of the fictional character The psychology of the characters in the
 novel "Tawafuat Al Ward" by Mona Bashlam, Khadija Qaytun and Ubaida
 Kogil / Risala Magister / University of Arab bin Mahidi Umm Al-Bawaki /
 Algeria / 2017.
 The character in the story, Jamila Qayson, Journal of Humanities,
 Algerian University of Mentouri, No. 2000.
 The characters are not created but are found / Elizabeth Boone /
 translated by Buthaina Al-Essa / Training platform on the website
<https://takweenkw.com/blog/1630/single>.
 The character and its place in the novel / Muhammad al-Abbas / Al-Quds
 newspaper / 27 April 2016.
 In the theory of the novel, research in narration techniques, Abdul Malik
 Murtadha, Journal of the World of Knowledge, No. 240,1998
 Narrative Concepts, Tzfitan Todorov, see: Abd al-Rahman Meziane, i: 01,
 2005, publications.
 the difference.
 Features and visions of the Jewish character's transformation in the Arabic
 novel / Ziyad Al-Ahmad / May 28, 2019 / Step Website <https://khatwa.org>